



## شيء ما في المحطات

هناك دائماً شيء ما في محطات القطار.. غامض و.. جميل؟ هل هو الإنتظار والترقب، أو ربما تحديداً الإنتظار مع عشرات الناس؟ أهى مشاطرة الغرباء شيئاً ما.. الآمال والإحباطات المؤقتة؟

أهو الطريق الذي شق من أجله فقط وألبس الحديد، والذي يبدو خندقاً خطراً لا بد من الوقوف على حافته..

والضجيج.. ضجيج القطار القادم الذي أفاجئ نفسي دائماً أنني أعشقه، وكلما علا ازددت قبولاً له، الآن به عظمة إسكات كل شيء آخر؟ الآن به فرصة عزلٍ كاملٍ عما يحدث حولك.. هل به إشارة ما إلى أن الدنيا تسير رغم كل شيء.. هل ننسى به مؤقتاً أن إخوة لنا يقتلون في كل مكان ويصرخون مستغيثين والعالم ينظر إليهم وكأنهم مجرد سناجب برية سحقتها سيارات متهورة، قد يصفها بأنها مجنونة.. مجرمة.. عديمة الإحساس إلا أنه يرفع كتفيه كأحط درجات المبالاة ويمضي.. أو قد يمضي فقط.. مثل القطار عندما يمضي بضجيجه حتى يختفي فيسود صمتٌ مؤقت..

والمطر على منصات القطار.. تتمنى ألا يزداد لئلا تبتل أكثر فتخذلك ملابسك الدافئة إذ تختزن الماء والبرد.. ومع ذلك فلا بأس، المطر لا يزيد الإنتظار إلا إثارة..

والقطار، هل هو طول القطار واحتوائه لمئات البشر ما يجعله يُشبه بالعمري.. أم مُضيّه الحتمي إلى محطات توقّفٍ أخيرة.. أو ربما فقدان من يستقلّه لحرّيته في المغادرة قبل المحطة التالية..؟

ولكنني لم أتحدث بعد عن صمت المنصات الشبّحي عندما تفرغ إلا منك، ولا عن الحقول والمباني بلون الدخان التي تطلّ عليها نوافذ القطار، ولا عن ترثرة الغرباء أو صمتهم داخله وفي محطاته، ولا عما يرتدونه من أزياء وما يغرسونه في آذانهم من سماعات لا تدري ما تُسمعهم، ولا عما يكتبونه في حواسيبهم المحمولة، أو يقرؤونه في كتبهم، وما يبحثون عنه في هواتفهم النقالّة.. ولا..

إنها القطارات ومحطاتها، قارئ العزير..

د. خليفة

نشر بالملحق الثقافي لجريدة الشرق القطرية بتاريخ ٢٠١٤/٨/٣١م